

روح المعاني

أي مما يحصل منها وقول الشافعي لا يجب في العسل العشر لأنه نزل طائر ويقال لما بعد للنازل من الرزق .

والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق مرة كريهة الرائحة ذات لبن إذا أصاب جسد إنسان تورم تكون في تهامة وفي البلاد المجدية المجاورة للصحراء سميت بها الشجرة الموصوفة بما في الآية وكلا المعنيين للنزل محتمل هنا بيد أنه يتعين على الأول انتصابه على التمييز أي أذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا وحاصلا أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم ومعنى التفاضل بين النزلين التوبيخ والتهكم وهو أسلوب كثير الورود في القرآن والحمل على المشاكلة جائز وعلى الثاني الظاهر انتصابه على الحال والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير حال كونه نزلا وفيه ما مر من التهكم .

والحمل على التمييز لا مانع منه لفظا كما في نحوهم أكفاهم ناصرا ولكن المعنى على الحال أسد لأن المعنى المفاضلة بين تلك الفواكه وهذا الطعام في هذه الحال لا التفاضل بينهما في الوصف وإن ذلك في النزلية أدخل من الآخر فافهم .
إنا جعلناها فتنة للطالمين .

. 63

- محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فإنهم سمعوا أنها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر وكذا قال أبو جهل ثم استخفا بأمرها إنكارا للمدلول اللغوي : وإما ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد فتمزقوا ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق فالنار لا تحرق إلا بإذنه أو إن الإحراق عندها لا بها .
إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم .

. 64

- منبتها في قعر النار وأغصانها ترتفع إلى دركاتهما وقرية نابثة في أصل الجحيم طلعتها أي حملها وأصله طلع النخل وهو أول ما يبدو وقبل أن تخرج شماريخه أبيض غض مستطيل كالمرور سمي به حمل هذه الشجرة إما لأنه يشابه في الشكل أو الطلوع ولعله الأولى لمكان التشبيه بعد فيكون استعارة تصريحية أو لاستعماله بمعنى ما يطلع مطلقا فيكون كالمرسل للأنف فهو مجاز مرسل .

- أي في تناهي الكراهة وقبح المنظر والعرب تشبه القبيح الصور بالشيطان فيقولون كأنه وجه شيطان أو رأس شيطان وإن لم يروه لما أنه مستقبح جدا في طباعهم لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيرسم في خيالهم بأقبح صورة ومن ذلك قول امرئ القيس : أتقتلني والمشر في مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال فشبه بأنياب الأغوال وهي نوع من الشياطين ولم يرها لما ارتسم في خياله وعلى عكس هذا تشبيههم الصورة الحسنة بالملك وذلك أنهم اعتقدوا فيه خير محض لا شر فيه فارتسم في خيالهم بأحسن صورة وعليه قوله تعالى ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم وبهذا يرد على بعض الملاحدة حيث طعن في هذا التشبيه بأنه تشبيه بنا لا يعرف وحاصله أنه لا يشترط أن يكون معروفا في الخارج بل يكفي كونه مركزا في الذهن والخيال .

وحمل التشبيه في الآية على ما ذكره المروي عن ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما وزعم الجبائي أن الشياطين حين يدخلون النار تشوه صورهم جدا وتستبشع أعضاؤهم فالمراد كأنه رؤس الشياطين